أصناف البشر

سامر الشحنة البستاني

القرآن الكريم هو (اللفظ المعجز)[1]، كيف لا وهو كلام صانع وخالق البشر، وقد اعتنى العلماء بتفسيره على مر السنين منذ أُنزل القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واستنبطوا منه المنهج والتوجيهات لفهم حياتهم وطريقة عيشهم المثلى، فاغترفوا منه أحكامهم وأدبهم وأخلاقهم وعلومهم وفقًا لكل عالم وباحث، وتخصصه باللغة والفقه والعقيدة والاقتصاد والفيزياء... الخ.

إنه خلال تقليب صفحات القرآن العظيم تستوقف المتدبر بضع آيات من سورة الروم فإذا أمعن النظر والتدبر فيها، فيقع في نفسه فهمًا، قد يصيب وقد يُخطئ: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤).

إن خواتيم تلك الآيات تقوم على تسلسل يقوم بتقسيم البشر بطريقة فريدة تؤكد إعجاز القرآن.

فقد تحدثت الآية الأولى عن بدء خلق الانسان، وهو خلق آدم أول البشر من تراب الأرض، ثم من بعدها انتشر الناس في أصقاعها أمماً وقبائل شتى، وامتهنوا ما يُعينهم على العيش في هذه الحياة وإعمارها مهنًا متنوعة كالزراعة والصناعة والتجارة... الخ؛ فكان التقسيم الأول بأنهم منتشرون.

وبعد بيان كيفية الخلق وانتشاره على الأرض، لم يترك الله الناس هَمَلاً بل أرسى لهم قوانين وضوابط لتنظيم أحوالهم، وذلك بإرسال الأنبياء والرسل (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر: ٢٤) فكانت الرسل من البشر أنفسهم كي يكونوا لهم قدوة، فالتربية والتوجيه بالقدوة لها أبلغ الأثر في التأثير في نفس المتلقي.

[1] البوطي، د. محمد سعيد، مباحث الكتاب والسنة، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، مطبوعات جامعة دمشق، الطبعة السابعة، ص ١٣

ثم جاء التقسيم الثاني من البشر وهم المفكرون، والذي عبّرت عنه الآية التي تليها بـ (**يَتَفَكَّرُونَ**)، والتفكر هو النظر وتقليب الفكر فيما يخص الانسان وأسرار وجوده، ليقود ذلك إلى صنف آخر من البشر الذين يتلقون العلوم والمعارف، فينتج تقسيماً آخر، وهم العالمون، (**لِّلْعَالِمِينَ**) وهو ما عبرت عنه الآية (٢٢)، ومن هؤلاء العالمون ينبري تقسيم آخر، وهم الذين يسمعون، أي بعد وصولهم إلى رتبة العلم والفهم يبدؤون بسماع الآراء والأفكار من غيرهم، ومقارنتها بما يعلمون، فيصححون مفاهيم كانت عندهم، وينقضون، ويطرحون مفاهيم أخرى، وهنا تُفرز لنا الآيات التقسيم الخامس والأخير، وهم الذين (**يَعْقِلُونَ**) ، وهي أعلى الرتب، حيث يصل العاقلون إلى تمييز وجود الله، في هذه الحياة بأن يعقل في قلبه وعقله وتترسخ المفاهيم الصحيحة في قلبه، فمثلا لو كان الإنسان عالما، لكنه غير عاقل، لأدى به علمه إلى الضياع، لأنك قد تجد في بعض الأقوام كاليابانيين علماء ومفكرين، لكن لا يصل بهم علمهم وفكرهم إلى رتبة العقلاء، فترى بعضهم يقدس العلم والتكنولوجيا ومن شدة تقديسه يسجد للآلة، وهذا غريب غير مقبول، وآخرون في الهند يسجدون للبقر، بل وغيرهم يسجدون للفأر.

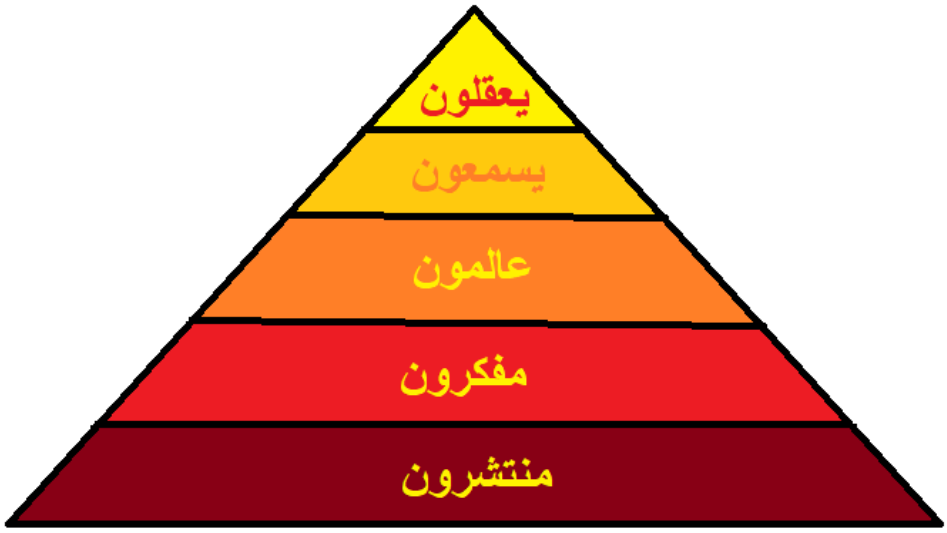

الشكل رقم (١) تمثيل الأصناف : من إعداد الباحث

يُلاحظ من الشكل رقم (١)، أن النسبة الأكبر هم المنتشرون، وهم الأغلبية الذين يعيشون لأجل دنياهم فقط فتراهم يمشون في مناكب الأرض، يجمعون الأموال، ويعيشون متع الحياة دون أهداف حقيقية وبنّاءة، وهم مسيّرون من قبل الطبقات الأعلى منهم.

ثم طبقة (المفكرون) الذين يقلبون الفكر في نواحي ومجالات الحياة، ثم طبقة (العالمون) الذين يقودهم الفكر إلى اكتساب العلوم وفق اهتماماتهم، ثم طبقة الذين (يسمعون) فيقومون بالتمحيص والفرز ومقارنة الأفكار بسماع آراء وأفكار الآخرين، ثم الطبقة الأخيرة، وهم الذين (يعقلون) وهي الطبقة العليا التي تنمو في أعلى الهرم، وعدد أفرادها قليل، وقد ذكرها القرآن في عدة مواضع منها: (**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**)، و (**قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ**)، و (**قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ**).

إن هذه الطبقات العليّة ليست حكراً على أحد وليس من الصعوبة إدراكها والوصول اليها، لكنها رتب لا يصل إليها الإنسان إلا بإعمال العقل والفكر والاخلاص.

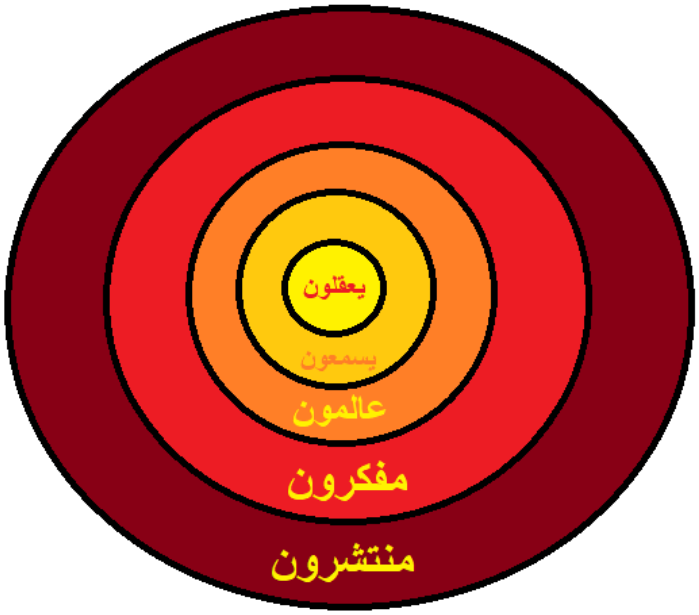

في الشكل ٢ : توضيح لعلاقة الأصناف مع بعضها : من إعداد الباحث

يختلف هذا الشكل عن السابق بأن هذا الشكل يوضح علاقة الأصناف مع بعضها البعض أي أن البشر بأساسهم منتشرون فينبثق منهم المفكرون، ومن المفكرين ينبثق العالمون، ومنهم ينبثق المحكمون للآراء وتحكيم العقل وهم الذين يسمعون، ومنهم ينبثق العالمون . . . فنستنتج أن كل مفكر هو منتشر بالأرض وليس كل منتشر بالأرض مفكر، ولتلافي التكرار نسحب هذه النسبة والتناسب والعلاقة بينها على بقية الأصناف، والشكل (٢) يُسهل الفكرة وتوضحها.

وإن إسقاط هذه الآيات على علم الإدارة والموارد البشرية، يُنشئ لدينا تصنيفات أخرى للبشر، ومثالها : القيادة ومستوياتها. وهي كالآتي[1] :

[1] قنطقجي، د. سامر، الادارة الاستراتيجية، كاي للنشر، الطبعة الاولى ٢٠٢٢، ص ٧٥

القيادة العليا: (**يعقلون ويسمعون**) وهم المسؤولون عن تطوير السياسات وتقرير الأهداف الطويلة الأمد، يحتاجون معلومات استراتيجية تتعلق بسياسات التخطيط الطويل الأمد، كنمو السكان، واتجاهات الاستثمارات المالية، وتبدلات الموارد البشرية ...، ويتم الحصول على هذا النوع من المعلومات بمساعدة نظم دعم اتخاذ القرار.

القيادة الوسطى: (**العالمون**) وهم مسؤولو الإدارات الوسطى، يحتاجون معلومات قيادية تُستخدم للتطبيق والرقابة، كتحليل المبيعات، وأهداف التدفق النقدي، والخطة المالية السنوية، حيث تستخدم هذه البيانات في التخطيط المتوسط والقصير الأمد.

القيادة الدنيا: (**المفكرون**) ويحتاجون معلومات عملياتية تُستخدم للتشغيل اليومي، كصفحة غياب العمال اليومية، وطلبات الشراء وحجوزات البيع، والمخزون الحالي المتاح للبيع.

أما من تحت هذه الأقسام فهم بقية العمال والموظفين (**المنتشرون**).